مقدمة د. محمد عمارة

(١)
عن المؤلف

○ فى قرية "محلة نصر" – محافظة "البحيرة" – ولد الأستاذ محمد عبـده (١٢٦٦–١٣٢٣هـ ١٨٤٩–١٩٠٥م).. وفى القريـة تلقى تعليمه الأوّل، وحفـظ القرآن الكريم.. ثم انتقـل إلى "المعهد الأحمدى" بمدينة "طنطـا" ١٢٧٩هـ ١٨٦٢م حيث تلقى دروس التجويـد للقرآن الكريم وأول الدروس فى التعليم الأزهرى.. وفى سنة ١٢٨٢هـ – ١٨٦٧م انتقل إلى الجامع الأزهر – بالقاهرة – لمواصلة الدراسـة.. ولقد سـاعدته لمسة صوفيـة على مقاومة النفور/الذى أصابـه من طرق التدريس الأزهرية فى ذلك الحين.

○ وفى سنة ١٢٨٨هـ – ١٨٧١م حدثت النقلة النوعية فى حياة الشيخ محمـد عبده، عندمـا التقى بجمال الدين الأفغانـى "١٢٥٤–١٣١٤هـ ١٨٣٨–١٨٩٧م" فلازم حلقة درسـه، وأصبح أنجب تلامذته، وخليفته فى السعى إلى تجديد الإسلام وإصلاح دنيا المسلمين بالإسلام.. ومنذ ذلك الحين تزامل فى فكره عقل الفيلسوف مع قلب الصوفى فى توازن جسد الوسطية الإسلامية الجامعة.

○ ورغم اضطهاد شيوخ الاتجاه المحافظ من أهل التقليد بالأزهر للطالب محمد عبده – بسبب نزعته العقلية المجددة – استطاع – بفضل شيخ الأزهر الشيخ محمد المهدى العباسى "١٢٤٣–١٣١٥هـ ١٨٢٧–١٨٩٧م" – الحصول على العالمية – من الدرجة الثانية! ١٢٩٤هـ ١٨٧٧م.

○ وفى العام التالى لتخرجه عين مدرسا "بمدرسة دار العلوم العليا"، فشرح لطلابها كتاب (المقدمة) للعلامة ابن خلدون "٧٣٢–٨٠٨ هـ – ١٣٣٢–١٤٠٦م" ودرّس لهم "علم الاجتماع والعمران".

○ وشارك أستاذه الأفغانى فى العمل السياسى – "بالحزب الوطنى الحر" ضد استبداد الخديو إسماعيل "١٢٤٥–١٣١٢هـ – ١٨٣٠–١٨٩٥م" وضد النفوذ الاستعمارى الزاحف على البلاد.

○ وبعد نفى الأفغانى من مصر سنة ١٢٩٦هـ – ١٨٧٩م عُزل محمد عبده من التدريس، وحددت إقامته بقرية "محلة نصر" إلى أن استصدر له "ناظر النظار – رئيس الوزراء" رياض باشا "١٢٤٩هـ" عفوا من الخديو توفيق "١٢٦٨–١٣٠٩هـ ١٨٥٢–١٨٩٢م" وعينه محررا ثالثا بجريدة "الوقائع المصرية".. ثم أصبح رئيسا لتحريرها.. ومديرا للرقابة على المطبوعات.. ولقد قام بتحويل "الوقائع" من نشرة للإدارات الحكومية إلى صحيفة اشتملت على "قسم غير رسمى" تبارى فى تحريره نخبة من أهل الفكر والثقافة.

○ وفى سنة ١٢٩٨هـ – ١٨٨١م أنشئ المجلس الأعلى للمعارف العمومية، وعين محمد عبده عضوا فيه.

○ وإبان تلك الفترة تميز نهج محمد عبده فى الإصلاح عن نهج أستاذه الأفغانى.. فالأفغانى كان يركز على الثورة والسياسة والدولة، بينما كان محمد عبده يدعو إلى تقديم التربية على السياسة، وإصلاح الأمة قبل الدولة، وإلى التدرج فى الإصلاح.. مع الاهتمام بإصلاح مناهج الفكر، والمؤسسات التعليمية التى تضع عقل النخبة والصفوة.

○ وعندما قامت الثورة العرابية سنة ١٢٩٨هـ - ١٨٨١م، وأصبحت مصر مهددة بالاحتلال، انخرط محمد عبده فى الثورة العرابية، كأحد زعمائها.. وعندما هزمت أمام الاحتلال الإنجليزى سنة ١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م سجنه الإنجليز - مع زعماء الثورة - وحكموا عليه بالنفى خارج مصر ثلاث سنوات، امتدت إلى ما يقرب من ست سنوات.

○ وفى المنفى زامل محمد عبده أستاذه الأفغانى، وكان ساعده الأيمن فى تنظيم (العروة الوثقى) وفى إصدار مجلة هذا التنظيم -(العروة الوثقى)- من باريس.. ولقد طوف طوال السنوات الست التى قضاها بالمنفى بكثير من دول الشرق والغرب - علنا حينا.. وسرا فى كثير من الأحيان.. كما مارس التدريس - ببيروت- وبدأ تفسيره للقرآن الكريم.

○ وعندما يئس محمد عبده من العمل السياسى - بعد توقف مجلة (العروة الوثقى) - سعى للعودة إلى مصر، فعاد إليها سنة ١٣٠٦هـ - ١٨٨٩م، كى يمارس الإصلاح وفق منهجه.. لكن الخديو توفيق منعه من العمل بمهنته المحببة -التدريس-، فعمل قاضيا "ببنها" ثم "الزقازيق".. ثم مستشارًا بمحكمة الاستئناف سنة ١٣٠٨هـ - ١٨٩١م.. وفى يونيو سنة ١٨٩٩م تولى منصب مفتى الديار المصرية..

وعضويـة مجلس شـورى القوانين.. وأصبح إمـام الإصلاح الفكرى على نطاق العالم الإسـلامى.. ولقد نقلت مجلة (المنار) – التى أنشأها تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا "١٢٨٢– ١٣٥٤هـ / ١٨٦٥ – ١٩٣٥م" أفكاره واجتهاداته وفتاواه ومعاركه الفكرية إلى ربوع العالم الإسلامى على امتداد أربعين عاما.

○ وإلى جانـب اجتهاداته وإبداعاته الفكرية والإصلاحات التى طبقها فى مؤسسات التعليم والقضاء والعمل الاجتماعى، تكونت من حوله أهم المدرس الفكرية التى ظلت تنجب العلماء والمفكرين الذين قادوا الإصلاح والتجديد على نطاق العالم الإسلامى منذ عصره وحتى الآن.. كما مثلت أعماله الفكرية – التى جمعناها وحققناها – ديوان معالم مناهج الإحياء والتجديد فى عصرنا الحديث.

○○○

(٢)
عن الكتاب

فى سنة ١٣١٧هـ/١٩٠٠م كتب فرح أنطون "١٢٩١-١٣٤٠هـ / ١٨٧٤-١٩٢٢م" -وهو من كتاب النصارى الشوام الذين تعلموا بمدارس الإرساليات الفرنسية، ثم وفدوا إلى مصر.. كتب فى مجلة (الجامعة) - التى كان يصدرها - دراسة تناول فيها فلسفة ابن رشد "٥٢٠-٥٩٥هـ / ١١٢٦-١١٩٨م" فادعا "أنها فلسفة مادية، وأن مذهب صاحبها مذهب مادى قاعدته العلم".. وتناول فى هذه الدراسة - أيضا - موقف كل من الإسلام والنصرانية من التسامح مع العلم والمدنية، فرأى أن المسيحية كانت أكثر تسامحا لأنها فصلت السلطة الدينية عن السلطة المدنية.. وفى ذلك قال: "إن السلطة المدنية فى الإسلام مقرونة بحكم الشرع، لأن الحاكم العام هو حاكم وخليفة معا، وبناء على ذلك فإن التسامح يكون فى هذه الطريقة أصعب منه فى الطريقة المسيحية التى فصلت بين السلطتين فصلا بديعا مهد للعالم سبيل الحضارة الحقيقية والتمدن الحقيقى.. ولذلك تمكن العلم والفلسفة من التغلب على الاضطهاد المسيحى، فنما غرسهما فى تربة أوربا وأينع، وأثمر التمدن الحديث، ولكنهما لم يتمكنا من التغلب على الاضطهاد الإسلامى، وفى هذا دليل واقعى على أن النصرانية كانت أكثر تسامحا من الإسلام".

○ ولقد فجرت هذه الدراسة معركة فكرية كبرى وخصبة كانت الإمامة فيها للشيخ محمد عبده.. الذى عرض لفلسفة ابن رشد وأثبت – بالعقل والنقل – أنها "فلسفة إلهية. وأن مذهب ابن رشد هو مذهب إلهى، قاعدته العلم، قائل بخلود النفس وسعادتها وشقائها وعذابها ونعيمها"[1].

○ وبعد هذه الدراسة عن فلسفة ابن رشد، تناول الأستاذ الإمام دعوى فرح أطون تسامح النصرانية – مع العلم والمدنية بالبحث والنقد والتفنيد – فى مقالات عدة نشرتها مجلة (المنار) بدءا من عدد جمادى الثانية سنة ١٣٣٠هـ/ سبتمبر سنة ١٩٠٢م – ثم جمعها الشيخ رشيد رضا فى كتاب "الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية".. وهو الكتاب الذى يدهش قارئه – اليوم – بعد أكثر من قرن على كتابته عندما يرى فيه معركة فكرية معاصرة وقائمة فى الواقع الذى نعيشه الآن!..

○ لقد تناول الأستاذ الإمام – فى هذا الكتاب – دراسة أصول النصرانية وأصول الإسلام، موضحا الفوارق والتناقضات بينهما. فقدم دراسة من أعمق الدراسات التى كتبت فى مقارنة الأديان.. كما قدم فى هذا الكتاب دراسة عبقرية فى المقارنة بين الحضارة الأوربية وبين حضارة الإسلام، عالجت قضية التمايز الحضارى ونقضت دعاوى التغريب والمتغربين!

○ وعرض الأستاذ الإمام لمقام العقل فى الإسلام فقال: "إن العقل من أجل القوى، بل هو قوة القوى الإنسانية وعمادها. والكون جميعه هو

(١) انظر (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) جـ٣ ص٥١٥-٥٢٩ – دراسة وتحقيق: د.محمد عمارة – طبعة دار الشروق – القاهرة – سنة ١٩٩٣..

صحيفتـه التـى ينظر فيها، وكتابه الذى يتلـوه، وكل ما يقرأ فيه فهو هداية إلى الله وسـبيل للوصول إليه.. وإن أول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلى، والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح".[1]

وقارن بين موقف الإسـلام من العقل، وحال هذا العقل فى النصرانية ولاهوتها الكنسى.

○ وعرض لقضية التكفير، فقال: "لقد اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعـد أحكام دينهم أنه إذا صدر قول مـن قائل يحتمل الكفر من مائة وجـه، ويحتمل الإيمان من وجـه واحد، حمل على الإيمان، ولا يجوز حمله على الكفر.. وأن من استنفض جهده فى الوصول إلى الحق، ثم لم يصل إليه، ومات طالبا غير واقف عند الظن، فهو ناج".[2]

وقـارن ذلك بما حدث من محاكم التفتيش داخـل مذاهب النصرانية الأوربية.

○ وعرض لطبيعة السـلطة والدولة فى الإسـلام، فقـرر أنها مدنية، ترفـض الثيوقراطيـة والعلمانية معا.. وبنص عبارته: "فإن الإسـلام لم يعـرف تلك السـلطة الدينية التى عرفتها أوربـا.. فالأمة هى التى تولى الحاكم وهى صاحبة الحق فى السيطرة عليه، وهى تخلعه متى رأت ذلك من مصلحتها، فهو حاكـم مدنى من جميع الوجوه، ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط الخليفة عند المسلمين، بما يسميه الفرنج "ثيوكراتيك"، أى سـلطان إلهى، فليس للخليفة – بل ولا للقاضى أو المفتى أو شـيخ الإسلام – أدنى سلطة على العقائد وتحرير الأحكام، وكل سلطة تناولها

(١) المصدر السابق جـ٣ ص ٣٠١.

(٢) المصدر السابق جـ٣ ص ٣٠٢.

واحد من هؤلاء فهى سلطة مدنية، قدّرها الشرع الإسلامى. فليس فى الإسلام سلطة دينية بوجه من الوجوه، بل إن قلب السلطة الدينية والإتيان عليها من الأساس، هو أصل من أصول الإسلام".[1]

○ وقطع الأستاذ الإمام الطريق الذين ينطلقون من نفى الإسلام للثيوقراطية كى يُعلِمنوا الدولة الإسلامية ويفصلوا قانونها وسياستها عن الدين، فقال: "إن الإسلام دين وشرع، فهو قد وضع حدودا ورسم حقوقا، ولا تكتمل الحكمة من تشريع الأحكام إلا إذا وجدت قوة لإقامة الحدود وتنفيذ حكم القاضى بالحق وصون نظام الجماعة. فالإسلام لم يدع ما لقيصر لقيصر، بل كان من شأنه أن يحاسب قيصر على ماله، ويأخذ على يده فى عمله.. فكان الإسلام: كمالا للشخص، وألفة فى البيت، ونظاما للملك امتازت به الأمم التى دخلت فيه عن سواها ممن لم يدخل فيه".[2]

○○○

○ وبسبب من خطر هذا الكتاب – الذى عرض فيه الأستاذ الإمام لهذه القضايا الهامة – وغيرها الكثير – تعرض هذا الكتاب للتزييف من قبل نفر من العلمانيين الذين حاولوا تزييف موقف محمد عبده من علاقة الدين بالدولة.

فإبان المعركة الفكرية الكبرى التى آثارها كتاب الشيخ على عبدالرازق "١٣٠٥ – ١٣٨٦هـ/ ١٨٨٧ – ١٩٦٦م" (الإسلام وأصول الحكم) – سنة ١٩٢٥م – حاولت صحيفة (السياسة) أن تطوع فكر الإمام محمد عبده

(١) المصدر السابق جـ٣ ص ٣٠٤ – ٣٠٩.

(٢) المصدر السابق جـ ٣ ص ٣٠٧.

للعلمانية ولعلمنة الإسلام التى دعا إليها كتاب على عبدالرازق - الذى وصف الإسلام بأنه "دين لا دولة، ورسالة لا حكم".[1]

○ ثم تعرضت طبعات كتاب (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) للتزييف منذ ستينيات القرن العشرين:

١- لقد زوروا عنوانه، فحذفوا منه كلمة (النصرانية) وجعلوه: (الإسلام مع العلم والمدنية)!

٢- وتم حذف كل ما كتبه الإمام محمد عبده عن النصرانية وأصولها - وهو أزيد من ثلاثين صفحة-!..

٣- كما حذفوا المباحث التى استخلص فيها الأستاذ الإمام نتائج المقارنات بين أصول النصرانية وأصول الإسلام!

٤- وبعد هذا التزوير، بالحذف، ارتكبوا جريمة التزوير بالحشو والإضافة للكتاب ما ليس منه!.. فأدخلوا فيه بحث جمال الدين الأفغانى عن: "الإنسان عالم صناعى" - الذى سبق نشره فى مجلة (العروة الوثقى) سنة ١٨٨٣م - والذى لا علاقة له بموضوع الكتاب!.. كما أضافوا إليه أبحاث "المسألة الإسلامية بين هانوتو والإمام"- وهى ست مقالات كتبها الأستاذ الإمام فى مناسبة أخرى، ولا علاقة لها بموضوع الكتاب!..

○ ولقد استمرت الطبعات المزورة لهذا الكتاب تتوالى - بل ويقدم لبعضها أساتذة جامعيون!- وتنشر إحداها الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٣م، ضمن سلسلة كتب (المواجهة والتنوير)!.. استمر هذا

(١) صحيفة (السياسة) فى ٦ يوليو سنة ١٩٢٥م، وانظر فى ذلك كتابنا (معركة الإسلام وأصول الحكم) ص ٧١ - ٧٦ طبعة دار الشروق- القاهرة سنة ١٩٨٩م.

التزويـر بطبعات هـذا الكتاب حتى بعد أن جمعـتُ وحققتُ (الأعمال الكاملة) للأسـتاذ الإمام، والتى نشـرت عدة مرات - فى بيروت سـنة ١٩٧٢م.. والقاهـرة ١٩٩٣م و٢٠٠٦ و٢٠١٠م -[1].. ونشـر فيها النص الأصلى للكتاب.

○ هكـذا، ولهذه الحقائق تتجلى أهمية النص الأصلى لهذا الكتاب.. كتاب (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده..

إنه عمل علمى بالغ الأهمية.. يعالج قضايا جوهرية لا تزال مثارة فى حياتنـا الفكرية الراهنة.. حتى لكأنه قـد كتب الآن ليفصل بين الحق والباطـل فيما هو قائم بـين دعاة الأصالة والتجديد وبين المتغربين الذين "ضُربت عقولهم فى مصانع التغريب"!

والله نسـأل أن ينفع بهذه الطبعة الجديدة من هذا الكتاب. كما نفع بسـابقاتها التى لم يصبها التحريف والتزوير.. إنه - سبحانه وتعالى - خير مسئول وأكرم مجيب.

بقلم: دكتور محمد عمارة

١٩ محرم سنة ١٤٣٤ هـ

٣ ديسمبر سنة ٢٠١٢ م

---

(١) انظـر فى كتابنا (الإسـلام بين التنوير والتزويـر) ص٢٦٤-٢٦٨ طبعة القاهرة - دار الشروق - ١٩٩٥م..

مقدمة الإمام محمد رشيد رضا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ النحل: ١٢٥ـ ١٢٦

ظهرت فى العالم مَدنيّات ثم خفيت، ودُرِسَتْ فيها العلوم والفنون ثم دَرَست، وصَلحت أحوال الأناسى ثم فسدت وطلعت فيهم أقمار الهداية الدينية ثم خسفت ولم يزل الناس فى قيام وقعود، وهبوط وصعود، والأمم فى تلاش وفناء، ونشـوء وارتقاء حتى استعد المجموع فى حملته للرقىّ العام، فمنحه الله تعالى دين الإسلام.

جاء الإسلام والعالم كله فى تأخر من جميع الوجوه –من جهة الدين، من جهة العلم، من جهة المدنية، من جهة السياسة، فلم يمرّ قرن واحد حتى جدَّد للعالم كلّه دينًا قيمًا، وعِلمًا محكمًا، ومدنية سـعيدة وسياسة رشيدة، ونشر ذلك فى مشارق الأرض ومغاربها بقوة الحق، وسرعة البرق فتغـير وجه الأرض ونفخ فى الإنسـان روحًا جديـدًا أعطاه من جراثيم الحياة ما لا يقبل الفناء، ما دامت الأرض والسماء.[1]

(١) بينا أن أركان الإصلاح الإسـلامى غير قابلة للهدم فى مقالات متعددة نشـرناها فى مجلدات المنار كمقالات (الإصلاح الدينى) والمقالة التى فاتحتها "وما كان ربك ليهلك القرى=

ينبوعٌ تَفَجَّرَ فى أرض وفاض ماؤه على غيرها فأحيا الأرض بعد موتها ولكن القائمين على حراسته وتعاهده وضعوا فوقه أنقاضًا من خرائب جيرانهم فغيض الماء وما بقى منه صار مستنقعات تُجْتَوى. لم يلبث بعدما غاض أن فاض منه شىء فى مواضع أخرى فانتفع أهلها به وحافظوا عليه ولكن الأكثرين منهم لا يعرفون من أين جاءهم كما أن أكثر أهل الينبوع المنتسبين إليه بالاسم لا يعرفون أن ذلك الماء الذى تفجر فى تلك المواضع فأنشأ أهلها به حدائق ذات بهجة هو من ماء ينبوعهم. وأنهم لو أزالوا عنه تلك الأنقاض لفاض ورجع إليهم خصبهم ونماؤهم كأحسن ما كان. لأنهم تعلموا من غيرهم كيف يستخدم الماء للأحياء.

ذلك مثل المسلمين اليوم مع الأمم الغربية الحية الراقية. أخذ الغربيون من الإسلام كل أصول الإصلاح الذين هم فيه وهم يقولون إن الإسلام عقبة فى طريق كل إصلاح. يقولون للمسلمين: إن ماءنا صافٍ نقى يحيى البلاد والعباد وماؤكم آسن أجاج. أحدث مستنقعات أهلكت الحرث والنسل. فكيف يستوى الآن وقد اختلف الأثران؟ منهم من يقول هذا معتقدًا. ومنهم من يقوله منتقدًا. ونحن ساكتون؛ لأننا جاهلون بأنفسنا وبهم.

ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب. ويظهر الحق من الباطل. فتقوم الحجة على الجاهل بدينه ونفسه. والمكابر لوجدانه وحِسّه. لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذِكْرًا

=بظلم وأهلها مصلحون" ومقالات "سلطة مشيخة الطريق الروحية" وفيها الكلام على تقييد الإسلام السلطتين السياسية والدينية وجعل الناس سواء. وكل هذا فى المجلد الأول. وكمقالة "الجنسية والديانة الإسلامية" فى المجلد الثانى ومقالة "إعادة مجد الإسلام" ومقالات "مدنية العرب" فى المجلد الثالث وكمقالات "الحكومة الإسلامية والقضاء فى الإسلام" فى المجلد الرابع. .

فيرجعـوا إلى أصول دينهم وهو الأولى بهم والأحرى، فقد أعدهم بنوائب الزمـان، وصروف الحدثان، لأن يعترفوا بذنبهـم وليتوبوا بالتدريج إلى ربهم، إذا ظهر فيهم علماء ربانيون وأطباء روحانيون، يعرفونهم بحقيقة الداء ويصفون لهم الدواء، وما طلب الإنسـان بلسـان استعداده شيئًا من مولاه إلا تفضل عليه به وأعطاه إياه.[1]

لهذا سخر الله للمسلمين حكيمًا من الأعلام، وإمامًا من أئمة الإسلام، يطلـب لديهم، ويجمـع ما تفرق من آرائهم، وقد كتـب في هذه الأيام كتابـة جليلـة في العلـم والمدنية - بالنسـبة إلى الديانتـين النصرانية والإسـلامية - رد فيها على أحد كتاب المسـيحيين قوله: إن المسيحية كانت أكثر تسـامحًا مع العلم من الإسـلام، وأن الإسلام أكثر اضطهادًا للعلم والفلسفة من النصرانية وبيَّن في آخر ما كتبه حال المسلمين السوءى وعدم موافقتها لما تقتضيه طبيعة دينهم، فبرأ الإسـلام وسـلفه من الملام ولكنه لم يبرئ المسلمين المتأخرين بل دلهم على حقيقة دائهم وهداهم إلى طريقـة معالجته والخروج منه بإذن الله تعالى. ولعمري أنه أنذر فأعذر، وبرئ من وعيد الكتمـان. ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ يونس: ١٠٨.

الكاتب المسيحي هو رصيفنا الفاضل صاحب الجامعة النافعة وقد تكلم في المقابلة بين الدينين المسـيحي والإسلامي بالنسبة إلى العلم والفلسفة في ترجمة ابن رشـد. وقد سـاءت تلك الترجمة من قرأها من المسـلمين لهـذه المقابلة ولمسـألتين أخريين أهمهما عزو إنكار الأسـباب إلى علماء الكلام. والثانية ما تضمنته الترجمة من الحكم بكفر ابن رشـد فيلسوف

(١) راجع مقالة "الإصلاح والإسعاد على قدر الاستعداد" من المجلد الرابع من المنار.

المسلمين الأكبر فى الأندلس. وقد رد حكيمنا على الجامعة فى كل ما أخطأت به من الكلام فى فلسفة ابن رشد والمتكلمين ومن المقابلة بين الديانتين ونشرنا ذلك كله فى المنار. فأما الكلام فى فلسفة ابن رشد ومذهب المتكلمين فهو لا يكاد يفيد إلا الخواص من العلماء والمتكلمين.

وأما الكلام فى المقابلة بين الدينين من حيث أثرهما فى العلم والمدنية فهو يفيد العوام والخواص بل هو الشفاء لما فى صدور الناس، والضياء للباحثين فى حنادس الحيرة والوسواس لهذا رأيت أن أجمعه فى كتاب مستقل وأطبعه ليعم نفعه وأستأذنت الكاتب فى ذلك فأذن فأنفذت. وعلى الله توكلت.

وليعلم إخواننا المسلمين أننا نبرئ صاحب الجامعة الفاضل من سوء القصد فيما كتب وقد اعتذرت عنه فى المنار لحسن ظنى فيه الناشئ عن معرفة واختبار وأحب أن يحسن الظن به أولئك المتحمسون الذين طالبونا بالإغلاظ عليه فى الرد. وأحب أن يكون حظ كل مسلم من هذا الكتاب أن يجتهد فى الأخذ بأصول دين المشروحة فيه وأن يقتدى بكرام سلفه فى جَدهم واجتهادهم وسيرتهم مع المخالفين لهم فى الاعتقاد ولا يكون حظهم الافتخار بأن ديننا جامع لخيرى الدنيا والآخرة وأن سلفنا كانوا خير أمة أخرجت للناس وأن غيرنا ليس كذلك لأن كل هذا حجة علينا لا لنا. وهو لا يغنى عنا شيئا فى دنيانا ولا آخرتنا. ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ الزمر: ١٧ – ١٨

محمد رشيد رضا